البعد الوظيفي للاتصال السياسي

نماذج الاتصال السياسي

1-النموذج الاستراتيجي- (Le Modèle Stratégique)

هنا مصطلح "إستراتيجي " يعني عملية إتصالية موجهة نحو أهداف موافقة لمصالح الفاعل أو القائم بالاتصال، أي أن العملية الاتصالية هنا تأخذ طابع الاستراتيجية التي وضعت لنفسها أهداف والتي تسخر مجموعة من الوسائل لبلوغ هذه الأهداف بنجاح . وهذا النموذج يصب اهتمامه على وضعيتين صعبتين قد تعترض الحياة السياسية و التي قد تمر بها الانظمة السياسية عندما تكون في حالة الحرب، أو في حالة الصراع و التنازع للاستيلاء على النفوذ و الحكم ، لقد اعتبر عالم الإستراتيجية كلاوزفيتز (Clausevitz) الحرب على انها استمرار للسياسة و لكن هذا لا يكون إلا بوسائل أخرى، إن لإدماج الحرب و إلصاقها بصفة ضيقة بالحياة السياسية له تأثير مباشر على الاتصال السياسي ذلك أنه لهزيمة العدو أثناء الحروب أوفي حالة التغلب على الخصم و الظفر بالحكم و السلطة والإدارة ، لابد من أن يكون للحكام أو القادة دراية بأهمية التواصل بهدف التأثير في الذين يتوجه إليه م بالكلمة (المحكومين) أو المجتمع و أن ينقلوا لهم رسائل كقيامهم بتوجيه أرائهم وسلوكياتهم في اتجاه محدد باعتمادهم على استراتجيات تواصلية التي تعني أن الكلمة السياسية المرافقة للحرب أو لأية أزمة سياسية هي مرتبطة أساساً بفن إعداد الخطط الحربية أو السياسية أو ا لقدرة على تجميع وتسيير عمليات عديدة قصد بلوغ هدف ما.

إن النموذج الإستراتيجي،حسب Cazenave Hugues ،يقوم على فكرة عدم مساواة الأطراف المتداخلة في العملية الاتصالية السياسية، فالمرسل الوحيد في المجال السياسي عادة ما يكون هم الحكام والقادة، سواء كانوا قائدي ج يوش أو من رجال السلطة أو في الطريق الوصول إليها ، فهم وحدهم المؤهلين لأخذ الكلمة ولكن في حالة ما لا يكون المرسل منتميا إلى الدائرة الضيقة للفئة الحاكمة و هذا يعني أنه خاضع لأوامر القائد و ضحية تلاعب وتضليل من طرف زعيم الحرب، فالزعيم حسب tzu sun ، غالبا ما يعتمد على شبكة من الأعوان الذين يتولون مهمة التضليل وتحويل للمعلومة الأساسية بتشويهها بقصد " تغليط "الرأي العام و نشر الأخبار الكاذبة لكسر صفوف العدو . ففي كل الأحوال يكون المرسل هو الحاكم،

في حين أ نه يوكل للمحكومين دور المتلقين السلبين، إنهم ف ي كل لحظة مدعوون لمساندة المسؤول، لتعبئتهم وإحباط معنويات العدو أو للتصويت لصالح مترشح ما ، إن أهمية الكتابات النظرية المعتمدة على النموذج الإستراتيجي تكمن أساسا في الدراسة المفصلة لمختلف تقنيات والوسائل التي يستعملها المسؤول لبلوغ أهدافه، ومن ذلك مثلا كتاب فن الحرب لـ tzu sun الذي يعرض فيه أهم الاساليب التلاعبية المستخدمة من طرف الساسة الذين يطمحون في تلميع صورتهم أمام الجمهور الناخبين أو تشويه صور الخصوم كما يعرض كل الوصفات الصالحة لتشويه وتوجيه و إخفاء، وتعزيز أو التلاعب بالواقع الموضحة في الشروط التي لا تزال صالحة حتى اليوم

لهذا النموذج حدود ذات طبيعة سياسية راجعة للصيغة البراغماتية الطاغية على هذا النموذج، فالنموذج يقوم على البحث عن الفاعلية بأية وسيلة ومهما كان الثمن ،إن انعدام التوازن في الأدوار الموكلة لكل من الحاكم والمحكوم (المرسل والمتلقي أو القادة والمجتمع) تؤثر بصفة كبيرة على علاقة الحاكم بالمحكوم بالإضافة إلى غياب الالتزام بمبادئ أو أخلاقيات التي تتميز بها الإجراءات التي تتخذها الحكومات مع المحكومين تدخل في تناقض مع فكرة ممارسة الديمقراطية . و لقد كانت الديمقراطية المعاصرة مسرحاً لتطبيقات ات صالية لهذا النموذج أثناء حرب الخليج إلى كل هذا يضاف غياب العقل والمنطق في العملية الاتصالية و كذا في توازن الأدوار الموكلة لكل من الحاكم فهو يخاطب بالدرجة الاولى العاطفة لتأجيج المشاعر وإثارة الحماس الشعبي مهمشا القدرات العقلية للمحكومين، إنه باختصار شد يد، يستعير نفس أساليب الدعاية القائمة على تهييج الحشود بدل من الإقناع بالحجة . كما نشير إلى كون هذا النموذج يتعامل مع المحكومين كجماهير حاشدة سلبية ،حيث لا يعتبر الأفرد على كونهم متلقيين أحرار مستقلين بآرائهم وسلوكاتهم ومسؤولين عنها ،ولكنهم كحشد سلبي يتم تع بكيان خاص يتعدى إرادة الفرد ويسيطر عليه.

2-النموذج النسقي :((Le modèle systémique

إن النموذج النسقي يحلل الاتصال السياسي بوضعه في مجموع الأنساق التي يتفاعل معها (النظام السياسي، الإقتصادي، الاجتماعي، الثقافي والمكونة للمجتمع .هذا النموذج يعرف إذن الاتصال السياسي كعملية تبادل المعلومات بين مختلف الأطراف المشكلة للنظام السياسي كبنية مستقلة نسبيا هذا من جهة و بين النظام السياسي كله وما يحيط به من جهة أخرى . و

يضيف كازناف ((Gazenave في هذا الشأن أن الأنساق على العموم تخضع لثلاث مبادئ أساسية تتحكم في سيرها

1 - مبدأ الإرتباط المتبادل : الذي يرى أن العناصر المكونة للنسق مرتبطة فيما بينها وأن النظام ككل يتفاعل مع محيطه بنفس الكيفية.
2 - مبدأ الكيانية :الذي ينظر إلى النظام ككيان كلي يتعدى العناصر المكونة له ويتجاوزها.
3 - مبدأ إعادة الفعل :الذي يرى أن الظاهرة تؤثر على السبب الذي أحدثها والسبب بدوره يحدث أثر على الظاهرة.

أما تطبيق النموذج النسقي في المجال السياسة، يمكن أن نستشهد في هذا المضمار بدراستين بارزتين : الأولى لـ A.G Almond

تنتمي الدراسة الأولى إلى التحليل الوظيفي إذ ترى أن الاتصال السياسي بالنسبة إليها ما هو إلا وظيفة سياسية تختلف عن وظيفة الإدماج،و الحس الإجتماعي والتجنيد و هذه الوظيفة مدروسة وفق 4 معايير التي يمكن تلخيصها فما يلي
هي

تجانس المعلومات السياسية .

1 - -2تحرك المعلومات السياسية.
2 - -3حجم المعلومات السياسية
3 - -4إتجاه المعلومات السياسية.

على ضوء هذه المعايير، قام الباحث بعقد مقارنة بين الأنظمة السياسية من خلال طبيعة الاتصال السياسي المتبني في مختلف الانظمة المدروسة ، وانتهوا إلى إبراز أوجه الإختلاف بين الأنظمة الديمقراطية والشمولية من جهة، وكذلك بين البلدان الصناعية والبلدان السائرة في طريق النمو.

أما W.K Deutsche فقد إنتهج خط النموذج السيبرنيطيقي إنه ينظر إلى الاتصال السياسي كسيل للمعلومات المتدفقة سواء من خارج النظام، أومن داخل النظام، وهي المعلومات المحفوظة بها في ذاكرة النظام أو المتكونة من كليهما. - هذه المعلومات تمر عبر قنوات تعمل على

تصفيتها و غربلتها إلى أن تصل إلى مركز القرار، حيث تتحول إلى معلومات مصنفة ضمن السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية ، وعليه نجد أن النظام ككل يعيش في حالة بحث مستمر عن التوازن سواء كان ذلك بين عناصره الداخلية أو مع المحيط الخارجي.

3-النموذج السلوكي :(Le modèle comportementaliste ou Behaviaourist)

يقول Gazenaveأن لهذا النموذج علاقة مباشرة بنظرية "الإبرة تحت الجلدية " الذي يعود الفضل في وضع أسسها عالم الاتصال والسياسة الأمريكي هارولد لاسويل (Harold lasswell) كما لها إرتباط وثيق بأعمال عالم الاجتماع لازارسفيلد Lazarsfeld)) في الثلاثينات والأربعينات ، إذ كان ينظر وقتئذ إلى المجتمع كمجتمع جماهيري يتكون من أفراد سلبين، منعزلين، مذررين ويتقبلون دون مقاومة كل ما تبثه وسائل الإعلام من أراء ومواقف ونماذج سلوكية . يقوم النموذج السلوكي على برنامج بحوث أمبريقية هدفها إثبات أو نفي هذا التصور لعلاقة وسائل الإعلام بالجمهور،لقد لخص lasswell هذا البرنامج في سلسلة من الاسئلة الشهيرة "من، يقول ماذا، بأية قناة وبأي تأثير؟ ". فالاتصال السياسي في هذا النموذج يعرف على كونه علاقة قائمة بين مرسل (من؟) و رسالة (ماذا (ومستقبل (لمن؟)، قناة (بأية قناة؟) وذات تأثير (بأي تأثير؟) إذ ينظر هذا التعريف إلى الاتصال السياسي كعملية خطية لإنتقال المعلومات وهو يصب كل إهتمامه على العنصر الأخير من سؤال lasswell وهو عنصر التأثير الذي إستقطب إهتمام معظم الدراسات الإعلامية لما بعد الحرب العالمية الثانية وفي مقدمة التأثيرات التي ستجلب إهتمام الباحثين الذي إنصب أساسا على موضوع الدعاية الحربية (lasswell) و فيما بعد إنتقل إهتمام الباحثين إلى ما يسمى بتأثير الحملات الإنتخابية بفضل الاعمال الذي قام بها (Lazarsfeld)أنذاك، إن هذه الأبحاث كانت بمتابة مقدمة لظهور نظرية التأثير المحدود التي اوضحت بصفة جلية ميكانيزمات مقاومة الافراد أثناء تعرضهم للوسائل الاعلامية ، لقد كانت هذه النظرية بمتابة النظرية المفندة لنظرية التأثير المفرط أو الأبرة تحت الجلدية . إنها ترتكز على المستقبل وميكانيزمات مقاومة الجمهور لتأثير وسائل الإعلام إعتمادا على ما أسماه هؤولاء الباحثون بإنتقائية التعرض، وإنتقائية الإدراك وكذا إنتقائية التنكر لدى الأقراد فضلا عن متغيرات أخرى كالسن، والانتماء السياسي وشبكة العلاقات الشخصية التي تحد من آثار وسائل الإعلام . وتؤكد هذه النظرية على أهمية الجماعات الأولية في تكوين الآراء السياسية للأفراد وإنتقاء المعلومات التي تأثيهم من وسائل الإعلام.

وهذا ما جسدته نظرية التدفق على مرحلتين (Lazarsfeld) ودور قادة الرأي في الوساطة بين وسائل الإعلام والجمهور .

لا شك أن هذا النموذج هو الذي هيمن على الدراسات والبحوث الاتصالية بعد الحرب العالمية الثانية و في هذا الشأن قدم أستاذ العلوم السياسية فرانسيس بال (Francis Balle) تفسيرا مفصلا عن هذه السيطرة بإرجاعها إلى الطابع الإجرائي والعملي للسؤال المركزي) Lasswell)والبرنامج الذي تلاه ، فنموذج lasswell سمح بتجزئة مجال البحث إلى عناصر أساسية تمثل هي بدورها مجالات مصغرة للبحث وبالتالي التحكم فيه بتخصيص دراسات لكل عنصر من العناصر المكونة للنموذج على حدا كالدراسة الخاصة بكل من : المرسل و المستقبل و القناة والرسالة والأثار أو التأثير . ويعاب على هذا الن موذج ثلاثة أشياء :

-1تركيزه فقط على الأثار القريبة المدى المباشرة لوسائل الإعلام مهملة الأثار العميقة والبعيدة المدى

-2تركيزه على جوانب التغيير الذي يحدثه التعرض لوسائل الإعلام في حين أنه، كما يقول Gitlin Told فالأهم من هذه الدراسات هو القدرة على دراسة درجة المقاومة لأثار وسائل الإعلام عبر الأمور الثابتة

-3التركيز على عنصر الآثار وحده في سلسلة Lasswell وإهمال العناصر الأربعة الأخرى وخاصة الجمهور .

-4النموذج النقدي:Le modèle Critique))

إنه مرتبط بأعمال وأفكار مدرسة فرنكفورت التي تضم عددا من المفكرين البارزي ن وجلهم ألمان إنهم فلاسفة أخذوا على عاتقهم رد الإعتبار لمكانة العقل والتفكير العقلاني في المجتمع على غرار فلاسفة القرن الثامن عشر، هؤلاء الفلاسفة لا يعرفون الاتصال كعملية إرسال المعلومات من مرسل إلى مستقبل ولا يهتمون بمحتوى الرسالة المتبادلة، فالاتصال بالن سبة إليهم هو مجموع الشروط والظروف التي يتم فيها إنتاج الواقع الإجتماعي والسياسي هذا الواقع الذي يتم إنتاجه عبر تفاعل التصورات الذاتية ، يتم إنتاج المعاني حول الواقع والعالم والوجود من الناحية الاتصالية بفضل إجتماع فردين متفاعلين ومدركين لأهمية العملية الاتصالية ، فمن هنا تحتل اللغة والحوار والمحاجة أهمية بالغة في النظرية النقدية لتكوين تصور للعالم والمجتمع.

إن النظرية النقدية قائمة على شبه مسلمة بخصوص علاقة الجمهور بوسائل الإعلام مفادها أن وسائل الإعلام كاملة الجبروت وذات تأثير قوي على الرأي العام مما يجعلها تنظر إلى النموذج السلوكي كالنموذج الاتصالي المهين، فنظرية مدرسة فرنكفورت تذهب إذن أبعد من Lazarsfeldالذي يرى أن وسائل الإعلام ذات تأثير محدود وأن نموذج lasswell يبالغ في نظرته لقوة وسائل الإعلام .

النظرية النقدية تعتبر أن Lazarsfeld لم يلاحظ التأثير القوي والعميق لوسائل الإعلام لأن أبحاثه أمبريفية قريبة المدى تتناول فقط الآثار المباشرة لوسائل الإعلام م تجاهلة الآثار العميقة التي تتطلب ملاحظة أطول وأعمق. فكل ما كانت ترمي إليه النظرية النقدية هو تحليل الآثار القوية والطويلة المدى لوسائل الاعلام على الآراء السياسية و الاجتماعية للأفراد ، كما كانت تطمح إلى تفسير سبب عدم توضيح الاثار السلبية لوسائل الإعلام من طرف مدرسة لازرسفيلد الامبريقية ، فقد إنتقدت دراساته التي كانت تعيب عليها بأنها كانت مقتصرة إلا على الكشف عن التغيرات التي تحدث على مستوى الآراء فقط ، في الحين كانت نظرتها مغايرة لذلك معتبرة ان وظيفة وسائل الاعلام هي إعادة الانتاج ، فهي بمتابة أحد عو امل الاستقرار ، فبدلا من أن تقول للفرد ماذا يجب أن يفكر فيه أو ما عليه أن يفكر فيه أو كيف يجب ان يفكر ، فوسائل الاعلام تقول له فيما لا يجب أن يفكر فيه .

الاتصال والديمقراطية إضافة إلى تركيز النظرية النقدية على طرح جبروت وسائل الإعلام، فإنها تركز أيضا على تح ليل الديمقراطية الغربية التي يحتل في كنفها مفهوم الاتصال معانيه الكاملة نظريا أو مكانة مركزية يصف سلوك الفاعلين عبر أربع أنواع من الأفعال :

-1هو الأفعال التكنولوجية أي تلك الموجهة نحو غاية الفاعل يحدد هدفها ويسخر الوسائل الكفيلة بتحقيقه بنجاح .

-2النوع الثاني هو الأفعال القيمية والقائمة على الإمتثال لمجموعة من المعايير والقيم والضوابط الإجتماعية التي تحددها جماعة اجتماعية ما .

-3هو الفعل الدرامي أو المسرحي حيث يلعب كل فاعل دورا معينا ضمن الجماعة ويسعى كل فاعل لإعطاء صورة عن نفسه مقبولة لدى الأخرين أو يرغب الوصول إلى تحقيقها و تكون مواتية لهذا الدور .

-4أخيرا لدينا الفعل الاتصالي وهو صلب النظرية الديمقراطية وهو قائم على الحوار بواسطة اللغة بين فاعلين، هذا الحوار لابد أن يخلو من كل تلاعب أو تحايل . فالفعل الاتصالي هذا هو

الكفيل بخلق نظرة مشتركة للمحيط الإ جتماعي .

-5النموذج التحاوري:(Le Modèle Dialogique)

إن هذا النموذج يظهر كتكملة للنموذج السابق (النقدي) ذلك أنه في حين أن النموذج النقدي ينتقد المجتمع الصناعي والديمقراطية الرأسمالية كما هي ممثلة في الواقع، فإن هذا النموذج يطرح بصفة معينة المجتمع المثالي. هذا النموذج يقوم على مبدأ الحوار في الاتصال السياسي فبوصفه لواقع الاتصال الحديث في المجتمعات الرأسمالية وتركيزه على صفة الاغتراب الذي يميز الفرد الذي يعيش في كنفها، فإن هؤلاء الفلاسفة النقديون بانتقادهم لهاته المجتمعات نجدهم في آن واحد يطرحون نموذج جديد يطلق عليه إسم النموذج التحاوري ، يقوم هذا الاخير على فكرة أن الاتصال هو تبادل للحجج والبراهين قصد الإقناع بين مختلف الأفراد المكونين للمجتمع، والاتصال السياسي في هذا النموذج قائم إذن على فكرة العقلانية ،و أن المعلومات المتبادلة فيه هي براهين وحجج عقلا نية قبل كل شيء، كما انه يصف خاصية أخرى للاتصال السائد في هذا النموذج يتمثل في تبادل الأدوار كما يبينه جليا Gilles Schache بقوله أن كل فرد يمكن أن يكون مرسلا ومستقبلا في العملية الاتصالية، و من هنا يتجلى لدينا بأن النموذج التحاوري يتناقض كلية مع الن مودج الإستراتيجي في هذه النقطة بالذات ، حيث لا يؤمن هذا الاخير بوجود فئة من الأفراد أم الفاعلين (الحكام والساسة)الذين يملكون الحق المطلق في احتكار التعبير الإجتماعي والخطاب العام كما هو الشأن في النموذج الإستراتيجي .